مجلة كليّة
الدعوة الإسلامية
عشر
مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة تصدر سنويًا
1424 من ميلاد الرسول ﷺ 1995 أفرنجي

إختتام النّبوّة

ظاهرة الشّعراء الكُتّاب في ليبيا

مالم يُذع من المصطلحات النحويّة

مجمل لتاريخ الكنيسة

ظاهرة
الشعراء الكتّاب في ليبيا

الدكتور/ عبدالحميد عبدالله الهرّامة

تمهيد:

الشعراء الذين يجمعون بين الشعر والكتابة في المشرق العربي في العصر الوسيط قلة فيما نعلم ـ فعبد الحميد الكاتب، والجاحظ، وابن المقفع، وسهل بن هارون، وابن مسعدة، وابن الزيات، وغيرهم من عمالقة الكتابة في المشرق معروفون بنثرهم لا يكادون يخلطون معه من شعرهم شيئاً يذكر، ومنهم من ليست له مشاركة في مضمار الشعر.

أما في الغرب الإسلامي الذي يمتد من تخوم برقة الشرقية إلى آخر بلاد الأندلس فالأمر مختلف تماماً، إذ يتميز كتابه بالجمع بين الكتابة والشعر، ويحفظ التاريخ من أسمائهم عدداً كبيراً منهم أبو الوليد ابن زيدون صاحب

الشعر الرقيق والرسائل الظريفة[1] وأبو عبد الله بن الخطيب صاحب البيان الناصع والشعر الرائع[2] ومنهم أبو عبد الله بن الأبار كاتب الدولة الحفصية ومؤلف المصادر المتعددة[3] وتتوالى الأسماء بعد ذلك حتى لا تكاد تجد كاتباً مغربياً أو أندلسياً إلا وله إسهام مهم في الفنتين، ومنهم ابن زمرك وابن سعيد وابن خلدون، وابن شهيد، وابن مرزوق، وحازم القرطاجني، وأبو زيد الفازازي والهوزاني وغيرهم.

وما قيل عن القدماء يقال عن المعاصرين، فكبار شعراء المغرب في العصر الحديث يجمعون بين الشعر والكتابة، ومنهم علال الفاسي، وعبد الكريم بن ثابت في المغرب، وابن باديس والإبراهيمي في الجزائر، والشابي في تونس والمهدوي في ليبيا.

ملامح الظاهرة في بلادنا الليبية:

وصف ابن خلدون بلادنا بأنها المغرب الأدنى فقال: (المغرب كله على ساحل البحر الشمالي من جنوبه، فالأقرب إلى هنا برقة أفريقية، والأوسط تلمسان وبلاد زناته، والأقصى (فاس ومراكش)[4].

وقد تتبعت ظاهرة الجمع بين الشعر والكتابة لدى أدباء هذه البلاد فألفيتها تنطبق على عدد كبير من أولئك الأدباء على اختلاف عصرهم وتباعد ما بين ثقافاتهم فرأيت الإشارة إليها والتعرض السريع لبعض نماذجها، تاركاً أمر الدراسة المتأنية إلى مناسبات أخرى، أو إسهامات جامعية أكثر نضجاً وتأنياً.

فالنظرة العجلى إلى آثار أحمد الفقيه حسن، وأحمد بن عبد الدائم الأنصاري، وسليمان الباروني، وأحمد رفيق المهدوي، وعلي الرقيعي وعلي

---

(1) من ذلك رسالتاه الهزلية والجدية.

(2) له ديوان شعر منشور بتحقيق محمد مفتاح منشورات دار الثقافة المغرب 1989 وله رسائل في كتابه نفاضة الجراب والإحاطة وغيرهم.

(3) منها التكملة لكتاب الصلة، والحلة السيراء وتحفة القادم وديوانه منشور بتحقيق الدكتور عبد السلام الهراس الدار التونسية للنشر 1985.

(4) التعريف بابن خلدون، طبعة دار الكتاب اللبناني ص 411.

الديب، ومحمد بالحاج، وفاتح حواص، والأسطى عمر، وخليفة التليسي، ومحمد ميلاد مبارك، وهاشم الشريف، ورجب الماجري، وعبد السلام خليل، وعمار جحيدر، ومحمد مسعود جبران وغيرهم وهم كثر تثبت أن الظاهرة لها عيناتها الكافية، وأدلتها القاطعة، وقد رأيت في هذه الحلقة أن أقف عند نموذجين من الذين يجمعون بين الشعر والنثر كتابة أو خطابة حتى نقترب من تلك العينات، ونصافح نتاجها الشعري.

1 ـ الأستاذ عبد السلام خليل

ولد الشيخ عبد السلام خليل بقرية جنزور التي تقع إلى الغرب من طرابلس في أواخر العقد الثاني من القرن العشرين وقد عرف الناس الأديب الشيخ عبد السلام خليل ببيانه الذي يعتمد فيه على توازن الجمل، فيرنو إلى الترسل تارة ويتوخى السجع غير المستكره تارة أخرى، كما عرف بدقة اختيار الألفاظ، واقتناصها من غير مألوف الكلام، دون أن يقع في محذور الغرابة والحوشية أو يتدنى إلى العامية والإسفاف.

أما شعره فهو على جودته وطول نفسه أقل شفوفاً من نثره، فالرجل قد سخر قلمه للنثر كاتباً وخطيباً، تمرس على صناعة الكلمة المؤثرة في الإذاعة والصحافة والمناسبات المختلفة، حتى عرف أحياناً بإبراهيمي ليبيا إشارة إلى تشبيهه بالأديب الجزائري صاحب (عيون البصائر) وأحياناً بطه حسين، تنويهاً بعلو كعبه في البيان الذي بلغ فيه ذلك الأديب المصري عمادة الأدب، وبعيداً عن المقارنات التي لا تسلبه خصوصية بقدر ما تؤكد على أهمية النظر في نتاجه الأدبي. ونأمل من أستاذنا ـ أمد الله في عمره أن يسعى إلى جمع ما يمكن جمعه من خطبه البليغة، ومقالاته الرفيعة وأشعاره الجيدة حتى يمكن دراسة هذا التفرد والبرهنة عليه. إن شعر الشيخ خليل إذن دون نثره، لكنه صحيح الوزن يدل على طول نفس وتمكن في علوم الآلة واغتناء بأساليب العرب، وهو فوق ذلك يمثل الالتزام الذاتي بقضايا الأمة والدين، عروبي الوجهة إسلامي المسار.

زار جامع الزيتونة بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرناً على تأسيسه فقال:

منهل الظامئين بوركت نبعا ظل يزجي العطاء ألفا وبضعا
كنت حرباً على الضلالة والجهل (م) عوناً وكنت للناس شرعا
وتوالى إشعاع هديلك دهراً يزرع الخير والفضيلة زرعا
يلهم المشرقين أن يستجيبا لهتاف الحياة وتراً وشفعا
يوم هب الحمى ينادي بنيه قال فتيانك الميامين سمعا

وهي إشارة إلى دور المسجد في السلم والحرب، وفي بقية القصيد دعوة إلى أن يعود هذا الجامع لممارسة فعله في توجيه الأمة والدفاع عنها وتثقيفها:

آن أن تحملوا المشاعل إني ضقت بالطغمة الدخلية ذرعا
ابعثوا الجامع العريق عتيداً إنما الشر أن يوارى وينعا
ليس أبناؤه معاول هدم فيجازى بالهدم زجراً وردعا
فهم السابقون في كل زحف ولحق الإسلام والعرب أوعى

وله قصيدة أخرى يبتهج فيها بعودة هذا الجامع إلى سابق دوره في التعليم والتوجيه.

ولهذا الشاعر العديد من القصائد القومية والدينية منها مطولته في رثاء الرئيس عبد الناصر، وقصائد في أعياد مناسبات كثيرة.

ولأديبنا الشيخ عبد السلام خليل نزعة واضحة لرثاء الشخصيات الليبية الراحلة إلى عالم الخلود خلد بها ذكريات كثير من الأعلام كالشيخ المهدي الهنشيري، والشيخ علي الغرياني، والشيخ أحمد الخليفي، والشيخ محمود المسلاتي، والشيخ عمر الجنزوري، وهو في ذلك نموذج للوفاء نادر المثال، وإلى جانب هذه النزعة العامة في حياته الأدبية هناك اتجاه جديد خصص الشيخ له أوقاته فأتى فيه بالمطولات الجياد، ذلكم هو اتجاه المدائح النبوية الذي تمثل ميميته فيه الذروة الفينة ومطلعها: -

الله زاد محمداً تكريما صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن نثره الكثير نقتبس هذا النموذج بعنوان (المرأة بين التطور والتهور)

جاء فيه: ـ «ليس معنى الحجاب في الإسلام أن تلتزم المرأة بيتها لا تغادره إلا محمولة على الأعناق إلى مثواها الأبدي، كما كان سائداً في كثير من المجتمعات الإسلامية قبل حين من الدهر... لأن هذا السلوك المفرط في التخفي والحيطة غلو في الدين، وتجاوز لحد القصد والاعتدال، وإساءة لفهم مبادىء التشريعات الإسلامية الواردة بشأن المرأة المسلمة، وليس معنى التطور أن تبرز المرأة في الشوارع والمنتديات والمحال العامة شبه عارية، وتختلط بالرجال بصورة اندماجية كأي فرد منهم على ما هو سائد اليوم في الأمم والشعوب التي تحررت فيها النساء من كل القيود، وتجاوزت في الانطلاق والتهور كل الحدود مما أدى إلى انتشار الفساد والرذيلة على أوسع نطاق.....».

فهو في شعره ونثره يدافع عن الأفكار التي التزم بها بحرارة وإخلاص يمثلان مفتاح أعماله الفكرية وعنوان شخصيته الأدبية.

2 ـ الشيخ فتح الله حواص

ولد الشيخ فتح الله حواص بالزاوية الغربية سنة 1930 وتلقّى تعليمه في معاهد ومنارات الزاوية وطرابلس والبيضاء حتى أنجز عالية الشريعة سنة 1962.

وهو من أولئك الذين يجمعون بجدارة بين الشعر والنثر، ويملكون ناصية الفنيين بتوازن واضح غير أنه متواضع في ادعاء الشعر مقتصد في جمعه، ويستشهد دائماً بالبيتين القائلين: ـ

أبى الشعر إلا أن يفيء رديئه إلي ويأبى منه ما كان محكما

فيا ليتني إذ لم أجد حوك نظمه ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وشعره مع هذا التواضع عميق العاطفة جيد الألفاظ واضح الجرس، يتميز بالوحدة العضوية الموضوعية، يقل فيه الضعيف والمستكره، وذلك نابع من تقديره أولاً لأهمية الشعر في حياة الأمة، ولاطلاعه الواسع على دواوين الشعراء العرب، حتى أن مكتبته لتعد أغنى المكتبات الخاصة بالدواوين الشعرية وهو يميل إلى الشعر المقفى الأصيل ويقول: «إن الشعر المقفى هو شعر أمتنا»...، وينظر للشعر في مبناه ومعناه، «فكلما كان قريباً من روح

الأمة وأمجادها رائعاً في مبناه ومعناه كان أصيلاً متيناً»[5].

ولذا تراه يجل من الشعراء من اتجه نحو الشعر المقفى من شعراء بلادنا كرفيق والشارف والسوسي والتليسي والبغدادي وعبد الرزاق البشتي والفقيه وقنابه وعلي الديب ومحمد ميلاد مبارك وعبد ربه الغناي.

كتب مقالة عن الشعر والشعراء جاء فيها: «إذا كثر الشعراء قلّ الشعر. . . . هذه هي الكلمة التي قالها المرحوم أمير الشعراء الذي دعم لدولة الشعر بناءها ورفع لواءها يوم رأى الأدعياء يسودون الورق بكلام ملفق مبتذل يسمونه شعراً ويسمون أنفسهم شعراء، وصدق شوقي، فما أكثر الذين لو وزن شعرهم، أو بتعبير أصح نظمهم الركيك بميزان الشعر الذي ترتضيه لغة الضاد لما ساوى حفنة من تراب»[6] بهذه الروح الحذرة من ردئي الشعر كتب الأديب قصائده غالباً، وهو مع ذلك غير راضٍ على ما أنتج، متردد في نشره، متواضع في ادعائه، فماذا لو عرضنا له نموذجاً نتعرف من خلاله عليه من مسافة قريبة، قال من قصيدة في رثاء الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة:

الله أكبر ما أجل مصابا	مضّ القلوب وروع الألبابا
حكم القضاء ولا مرد لحكمه	فطوى لقطب الراسخين كتابا
ونعى لي الناعي الجنيد إمامة	وزهادة، وعبادة، ومتابا
يا راحلاً عنا وقد غلب الهوى	والدين يشكو غربة وسبابا
عزيت فيك حقيقة مظلومة	والأزهر المفجوع والآدابا
ما كنت في الحق الصراح مداجياً	ترجو ثواباً أو تخاف عقابا

أما نثره فيتميز بأناقة الديباجة التي يطبعها التدفق، ومطاوعة اللغة، وسلامة العبارة، ولا يتسع المقام للمزيد في هذه العجالة، غير أننا نسأل أستاذنا الجليل بألا يحرم الأجيال مما دبجه يراعه في فني الشعر والنثر، فيجمعه ويصححه، ويسهم به في إثراء المكتبة الثقافية العربية في بلادنا، وما أحوجها إلى ذلك.

---

(5) من حديثه في جلسة خاصة.

(6) جريدة طرابلس الغرب 31/ 10/ 1962.